

على هامش التقدير

من الشعر الجديد

للأستاذ محمد محمود رضوان

—*—

يا بني شعراء الشباب الذين يحمل عليهم الأستاذ الكبير
« ا.ع » ، وبأبي الذين يناخون عنهم من الشيوخ أن يقرأوا
هذه الحلة إلا أن تكون مدعومة بأمثلة من هذا الشعر توضح
نهجه وتكشف عواره إن كان فيه عوار

والأستاذ « ا.ع » بأبي ذلك ولا يرضاه ، ولعل عذره أنه
لا يهاجم أشخاصاً ، بل يريد إصلاحاً فما به من حاجة إلى إثارة
شاعر بعينه أو تجريحه

والأستاذ في ذلك رأيي ، ولكن ها هو ذا شاعر من شعراء

والأنصار ، وزعماء قريش وغيرها من القبائل ، وما كان لهم
أن يتكلموا وقد سكنت الحسن والحسين وابن عباس وابن الزبير
وابن عمر وغيرهم ممن يجب أن يرجع إليهم في ذلك الأمر ،
ولا يذكر حجر وأصحابه بجانبهم ، لأنه لم يكن لهم فيه ناقة
ولا جل

وقد يقال إن حجراً وأصحابه كانوا على حق في نورتهم للعن
على رضى الله عنه ، ولكن حقهم في ذلك يضيع بما كانوا
يذهبون إليه من لمن عثم ومعاوية ، وقد كان منهم عمرو بن
الخطاب الذي كان يزعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه ،
على أن كثيراً من المؤرخين ينكرون ما روى من أن بني أمية
كانوا يلعنون علياً على المنابر ، وقد ذكر من روى ذلك أن الحسين
طلب إلى معاوية في صلحه معه أن يكف عن شتم علي فلم يجبه
إليه ، فطاب ألا يشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ولكنه لم
يف به ، ولا أدري كيف يعقل هذا مع أن معاوية كان قد جعل
الأمر بعمده للحسن ، وما أظن الذي كان يتلى على المنابر يتمدى
لمن قتلة عثمان ، فكأن شيمة على ترى أنهم يقصدونه بذلك ،
وكان يؤلمهم ذلك اللعن ، لأن كثيراً منهم اشترك في ذلك القتل
هبر المتعان الصعبرى

الشباب يقدم نفسه ، ويعرض على الأستاذ الكبير قصيدة من
شعره - لعلها من أحسن بضاعته - ثم يسأله رأيي في هذا الطراز
من شعر الشباب

وما على الأستاذ الكبير لو أجابه ؟ إنه لم يفعل . حينئذ
رأيت - وأنا ممن يضيّقون بهذا الشعر الجديد - أن أكفيه
الجواب ، وأتولى عنه بعض ما أشركه فيه من رأي في هذا
الشعر

أما هذه القصيدة فهي « أين الطريق » ، وصاحبها هو
الشاعر الشاب الأستاذ على شرف الدين

- ١ -

وقبل أن تناقش القصيدة يجدر بنا أن نتساءل ، أمي من
الشعر الجديد حقاً حتى يمكن أن نتخذها أنموذجاً تنتهي من
دراسته إلى الحكم لهذا الشعر أو عليه ؟ أو بمباراة أخرى
هل يرضى شعراء الشباب الذين يحوم حولهم النقاش أن تمثل
هذه القصيدة مذهبهم الجديد ؟

أما أنا فأرى أنها جمعت القديم والجديد معاً . أخذت من
القديم شيئاً ومن الجديد أشياء ، هي من القديم في وحدة
موضوعها ، ومن النادر أن ترى قصيدة في هذا الشعر الجديد
تدور حول موضوع مؤلف تتسلسل أفكارها وتتواكب معانيها
لبلوغ هدف واحد ، بل إنك ترى القصيدة - من هذا الشعر -
فجوات لا اتساق بينها ، يطرق الشاعر معنى ثم يوغل فيه بأنماط
من التشبيهات والاستعارات المعتصفة والأخيلة البعيدة حتى
لتخرج منه بفكرة مشوهة غير محدودة ، ثم ينتقل بك إلى
آخر لا يمت إلى سابقه بوشيجة وهكذا دواليك ، حتى تنتهي
من القصيدة ، التي قد تبلغ المائة من الأبيات - وما ظفرت معها
بهدف أو عرفت بين أفكارها نسباً -

أما قصيدتنا فهي إلى القديم أقرب من هذه الناحية ، تفهم
من عنوانها (أين الطريق) ما في نفس الشاعر من حيرة .
يبدوها ييأس من الحياة جرّه عليه احترافه الأدب ، ثم يعضي
في وصف هذا اليأس وكيف أدرك قيمة الحياة فنفض منها كفه
ومات شعوره فما يحس فرحاً أو حزناً ، ثم يخاطب أمه وأباه
فيشكو إليهما أساء وحاله اليائسة ، ويتساءل أذلك من غضبهما

إنك لترى الشاعر في أيامنا هذه وحياته كلها صرح ولهو
ومجون وانبساط ، فإذا أمسك القلم لينظم رأيت الدموع
والحسرات واليأس المر كأنه لا يكون شاعراً إلا إذا ركب زورقاً
من الأحزان في بحر من العبرات

إن شاعراً كعبد الحميد الديب - رحمه الله - إذا شدا
في شعره باليأس والشقاء فلا بدع ، لأنه كان بائساً شقياً فهو
يصور حاله التي يمانها ، ويصف حياته التي يقاسيها - وهذه
هي مهمة الأدب

أما شاعر كطاهر أبو فاشا - وهو معروف بمرحه ولهو
وازدحام حياته بأساليب المزح والدعابة - فلن تقبل منه هذا
الشعر القاتم الحزين الذي تلحجه حتى في عنوان ديوانه (الأشواك)
فتحس منه الوحز وتلمس اليأس ... وما أحسب هذا الشعر
إلا أثرًا من آثار التقليد بين شعرائنا المحدثين من الشبان .
سرى فيهم فسموا دواوينهم (ألحان الألم) و (اليأس) وغير
ذلك من الأسماء

نعود إلى قصيدتنا فنقول إنها خالفت الشعر الجديد أيضاً
في وضوحها . فليس فيها فكرة غامضة كهذه الأفكار التي
يكتظ بها هذا الشعر ، وعجيب من الأستاذ البشبيشي أن يضع
هذا الغموض بجانب ما في شعر أبي تمام والمتنبي والمعري
وابن هاني وشوقي والزهاوي من عقد في الخيال حيرت الباحثين
أزماناً^(١)

شتان يا سيدي ما بين غموض منشؤه عمق الفكرة ودقة
التصور ، وغموض منشؤه خطأ الفكرة وفسادها . هذا غموض
لأنه يحتمل كيت وكيت من أوجه التأويل والتخرج وكلها
صائب . أو لأنه عميق بعيد النور حتى إذا كشفت عن معناه
وأسفر لك وجهه هشتت له وانشرح صدرك

أما ذاك فغامض ، لأنه لم يُبين على أساس من الفكر
الصحيح فهبات أن بتكشف لك فيه وجه - لأنه لا وجه له -
إلا مع تصف لا يحتمله اللفظ ولا تطبيقه العبارة

هل قرأ أستاذي البشبيشي بيت أبي تمام في الخمر:
جهمية الألفاظ إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

عليه أم لكثرة ذنوبه ؟ ويذكره ذلك بأيام العبا في كنفهما
فيتحسر على تلك الأيام الدواهب ، كما كان يتحسر عليها
الأقدمون من الشعراء ، ثم يذكر همته التي طمحت إلى المجد
فكبا دونه سالكا في ذلك سبيل الاستمارة ، فإذا المجد جبل
مرهوب للفاور أمل الشهاب عليه أن يرقاه ولا زاد له إلا
الأعصاب والفصيح فتمزقت كفه ودميت قدماء ، ولكن
لا عجب فقد تكشفت له محنة الأكفياء ونسكة الأدباء في هذا
البلد العجيب

- ٢ -

ولو أنك نظرت إلى هذه المعاني التي طرقتها الشاعر لم تجد
فيها شيئاً جديداً يمكن أن نمدّه من سمات الشعر الجديد
إلا انتحاءها ناحية اليأس المرير يطالعك في مطلع القصيدة
ويصاحبك في كل بيت من أبياتها حتى تأتي على آخرها
عافى الله الأستاذ حبيب الزحلاوي إذ يقول « إن الشعر
روح وإن الحياة الشعرية التي لا تفيض بالنعمة ولا تشبع السرور
بالنفس والفرحة بالوجود ليست بحياة »^(٢)

وأى أمل ترجوه في شعر يدعو إلى اليأس ويثبط الهممة
ويجمل الدنيا ليلاً حالكا

لم يبلغ الأمل البعيد قال لليأس القريب
أصبحت رسماً حافلاً باليأس والصمت الرهيب
هذه النفاضة التي تفيض على القصيدة من أولها إلى آخرها
هي من أبرز سمات الشعر الجديد . كأن الشاعر لا يعرف قدره
إلا أن شاع في شعره اليأس والحزن والأسى

نعم ... لقد ردد القدماء يؤس الأدب وشقاء من أدركته
(حرفة الأدب) ورأينا هذا المعنى كثيراً في شعر الخرمي
وأبي تمام وأبي العلاء ولكتنا لم نر منهم شاعراً يناقض شعره
حياته ويقول غير ما يحس ، لم نر منهم من كان في حياته راضياً
وفي شعره ساخطاً كما نرى في هذه الأيام . بل رأينا من كان في
حياته وشعره راضياً كأبي نواس ، أو فيهما ساخطاً كأبي العلاء .
أما التلقيق بين رضا الحياة وسخط الشعر فبدع لم نره إلا عند
سادتنا شعراء هذا الزمان